تاريخ الحركة الوطنية المغربية







لمحات عن مسار الحركة الوطنية في المنطقة الخليفية



وليد موحن
باحث في التاريخ

خضع المغرب بداية القرن العشرين للحماية الاسبانية والفرنسية بعد جهود مضنية وضغوط عسكرية واقتصادية وسياسية فرضتها الدول الأوربية على المغرب منذ هزيمته المذلة في معركة ايسلي يوم 14غشت من عام 1844 مرورا بحرب تطوان 1859 /1860 وحرب مليللية 1894، ومؤتمر مدريد 1880،ومؤتمر الجزيرة الخضراء 1906، ناهيك عن مجموعة من المعاهدات[429] والاتفاقيات والتسويات،[430] التي عملت على الحد من السيادة المغربية ،وهيبة السلطة الحاكمة ،وأدخلت المغرب في دوامة الدول الدائنة لدول الأوربية .لتأتي محطة 30مارس 1912م التي دقت أخر نعش في مقاومة المد الامبريالي الأوربي الجارف، برغم من الجهود الكبيرة

[429] نقصد هنا أساسا المعاهدة التجارية المغربية-الانجليزية التي نصت بنودها على حرية التجارة والمساواة بين المغاربة والانجليز في حق الاتجار والسكنى والبيع واالشراء في جميع المراسي المغربي واسقاط الكنطرادات ، لمزيد من التفصيل انظر خالد بن الصغير المغرب وبريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر (1856 - 1886)الفصل الآول.

[430] مجموعة من التسويات والاتفاقيات أبرمتها فرنسا مع الدول الاوربية من أجل انفرادها بالمغرب ،انطلاقا من الاتفاق مع ايطاليا سنة 1902، ،والاتفاق الودي 1904 بين فرنسا وانجلترا، والاتفاق الالماني الفرنسي سنة 1911.

التي قام السلطان عبد الحفيظ خلال فترة حكمه 1908/1912غير أن الخرق اتسع على الراتق حسب تعبيره في كتابه المعنون "داء العطب قديم".

لم يكن مغرب القرن التاسع عشر مهيئا لآي صدام عسكري مع قوى الغرب المتقدم، خاصة بعد أن انكشف أمر ضعفه الكبير في واقعة ايسلي ضد الفرنسيين ،في أول صدام له مع أوروبا منذ معركة وادي المخازن.وقد فتح انهزام الجيش المغربي في الواقعة المذكورة باب الأطماع الأوربية في البلد على مصراعيه، ودفع بالقوى الغربية المتصارعة حول مصالحها بالمغرب إلى تجاذب دراماتيكي طويل سينتهي بإنهاك البلد وما استتبع ذلك من إعلان الحماية الفرنسية الاسبانية عليه . بعدما أخد الأوربيين يتحكمون تدريجيا في المسار التاريخي للمغرب أكثر مما يتحكم فيه أهله431،فأصبحت الأمم الغربية كبريطانيا وفرنسا واسبانيا تبحث لها عن مواقع نفوذ في المغرب

بواسطة المبادلات التجارية ومعاهدات الصلح التي ضمنت الحماية لهذه المبادلات ولمصالح التجار عموما بسواحل البلاد ومراسيها.

و لم يزد الطين بله في مطلع الفرن العشرين سوي تلك القروض التي منحتها فرنسا للمغرب، والتي كانت البداية الأولى لفرض نظام الحماية على المغرب.ناهيك عن تلك الثورات التي أشعلها الثائر بوحمارة في شرق المغرب ما بين 1902 و 1909.وخير من يصف حالت المغرب المترهلة والسائرة في طريق فقدان السيادة الوطنية هو محمد بن الآعرج السليماني في مخطوطه "زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ " بقوله"خراب العمران وهلاك الرجال ونفاذ الأموال وارتباك الأحوال"432

ظروف خضوع شمال المغرب للحماية الاسبانية :

ان تبلور المصالح الاسبانية في المغرب بصورة واضحة تزامن مع ظروف فقدان اسبانيا لآخر مستعمراتها في سنة 1898.إذ بسبب ذلك اضطربت الكثير من القطاعات الاقتصادية المرتبطة بالتجارة مع المستعمرات وافتقدت الدولة الكثير من الموارد

التي كانت تحقق بواسطتها توازنا ماليا،فدخل الاستعمار والامبريالية الاسبانية مرحلة حرجة جدا بسبب التنافس الشديد بين الدول الاستعمارية حول ما تبقى على المائدة الاستعمارية.433

وقد كان موقف اسبانيا متميزا من عدة جوانب ونواحي نجملها :

---

[431] بيدرو أنطونيو دي الاركون،يوميات شاهد على حرب تطوان ،ترجمة محمد عبد السلام المرابط،منشورات ليتغراف،ط 1 ،مطبعة ليتوغراف،طنجة،2011،ص11.

[432] نفسه ،ص 503

[433] عبد الرحيم برادة،اسبانيا والمنطقة الشمالية المغربية 1931-1956،الجزء الآول، دار افريقيا الشرق،الدار البيضاء، 2007،ص 99

-لا يمكن اعتبار اسبانيا بالدولة الامبريالية ذلك أنها كانت تعيش على إيقاع مشاكل داخلية ،وصعوبات اقتصادية، وغليان اجتماعي. وهو ما يفسر الثورات والانقلابات التي كانت تعيش على إيقاعها الدولة الاسبانية وتغيرها المستمر من الملكية إلى الجمهورية.

- عدم امتلاكها نفس مقومات ومؤهلات الدول الاستعمارية لفرض نفسها حتى تتمكن من تحقيق المكاسب الاستعمارية التي قد تحققها الأطراف الأخرى.434

-كانت أقل الدول المنافسة على المغرب قوة وتنظيما وزاد عسكريا ودبلوماسية من نظيراتها الانجليزية أو الفرنسية .وهو ما يفسره الاتفاق الودي التي أعطى لاسبانيا شمال المغرب لسبب أساسي هو قربه من مضيق جبل طارق بوابة المستعمرات الانجليزية كما أسلفنا الذكر.

- عملت على استغلال الفرص من أجل الانقضاض على المغرب دون رؤية مستقبلية ولا خطط محكمة ،عكس انجلترا التي نهجت المسار الدبلوماسي بقيادة جون دراموند هاي435 ،وفرنسا التي أشهرت ورقة الإصلاحات وعملت على التغلغل في المغرب من الجهة الشرقية.

وقد كانت اسبانيا نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تعاني من تمزق سياسي وانهيار اقتصادي وتراجع اجتماعي وثقافي ،حتى أضحى بلادهم خارج التحولات التي كانت تعرفها أوربا والساحة الدولية آنذاك.فقد كانت اسبانيا مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مثقلة ومتعبة تقلصت إمبراطوريتها وضعف حالها وأمامها التاريخ يجري والعالم حولها يتقدم ولا بد لها من مسايرة الركب إن أرادت العيش والبقاء436 .لذلك وجهت أنظارها للمغرب باعتباره بلدا جارا،ومجموعة من جزره ومدنه تحت سيطرتها،وتدعي أن لها تاريخ مشتركا يجمعها بالمغاربة.

وقد خضعت المنطقة الشمالية لاحتلال الاسباني الجاثم سنة 1912م بعد الاتفاق انجليزي-فرنسي في الاتفاق الودي سنة 1904م بأن تكون المنطقة الشمالية من نصيب الدولة الاسبانية كما نص على ذلك البند الثامن من هذا الاتفاق. وذلك لدواع جيواستراتيجية أملتها المصالح الانجليزية بسبب قرب المنطقة الشمالية لمضيق جبل طارق بوابة المستعمرات الانجليزية ، وهذا ما يفسر أيضا وضع مدينة طنجة الدولي في فترة الاستعمار الأوربي غلى المغرب.

434نفسه الصفحة 99

435ينحدر من ارستقراطية السكوتلندية،لعب دورا طلائعيا في تاريخ مغرب القرن التاسع عشر،بكونه ممثل بريطانيا بالمغرب خلال فترة تربو عن نصف قرن 1845-1886 .للمزيد من التفصيل أنظر ،خالد بن الصغير،المغرب وبريطانيا العظمى ،الصفحات 50-58

436 على بولربح،الخطاب الاستعماري الاسباني حول شمال المغرب (1850-1950) اشكالات أولية ،مجلة المناهل ،العدد 90-89،رجب -1432يونيو 2011،ص 88.

وقد اخترقت الجيوش الاسبانية مدينة تطوان المتوسطية في سنة 1913 للمرة الثانية بعد الاحتلال الأول إبان حرب تطوان 1860/1859.

وقد جُبها الاستعمار الاسباني بمقاومة ضارية وقوية من طرف الساكنة المحلية والقبائل الشمالية بقيادة كل من شريف محمد أمزيان والأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي أذاق الأسبان ويلات الهزيمة في معركة أنوال سنة 1921م وفي الحرب الريفية التي استنفرت القوتين الاسبانيا والفرنسية في تحالف من أجل إسكات بنادق الريفين وتبين الأرقام استنفار 325ألف جندي وأنه كان على خط النار 32فرقة عسكرية و 44سربا على رأسها 60جينرالا بقيادة الماريشال بيتان، كما أن هذا الجيش يعد مدرسة في الجندية ،هذا ،وقد دعمته أربعة أخماس من السكان المغاربة الذي قدموا 400ألف جندي إضافي .إضافة إلى 360ألف جندي اسباني .مع العلم أن سكان منطقة الريف الجغرافي كانوا يقدرون يومذاك بحوالي 750000نسمة فقط .437

وان نجح الاستعمار في إسكات صوت البنادق المغربية بحلول بدايات الثلاثينيات ،فقد ظهر على الساحة السياسية شباب متنور طامح للحرية ،كله أمل في حصول المغرب على استقلاله بوسائل سلمية وعن طريق التعليم والدراسة وإرسال البعثات العلمية إلى الدول الأوربية والمشرق العربي .خاصة من المنطقة الخليفية التي عملت على إرسال ثلة من أبنائها إلي القاهرة ونابلس لدراسة ،وهؤلاء من سيصبحون عمدة النضال الوطني في المنطقة الشمالية (بن عبود ، الحمامي ،الطوريس)التي وجدت في السلفية إيديولوجية مناسبة لها ،إذ هي عقيدة إصلاحية دينية تدعو إلى العودة إلى الإسلام الأصلي،أي إسلام "السلف الصالح". وتفسر السلفية تقهقر العالم الإسلامي بالعامل الديني،معتبرة أن النهضة تمر عبر تصفية المعتقدات مما علق بها من بدع وانحرافات 438.

وقد قاد نضال الحركة الوطنية في المنطقة الشمالية شخصيات مهمة وفذة قدمت الغالي والنفيس في سبيل استقلال المنطقة والمغرب بشكل عام ،من أبرزهم وأكثرهم تأثيرا نذكر أب الحركة الوطنية عبد السلام بنونة 439 وعبد الخالق الطوريس ، محمد داود ،محمد طنانة وغيرهم الكثير من رعيل المقاومين والمناضلين في هذه المنطقة سواء بأفكارهم أو ببنادقهم. وقد كان رواد الحركة الوطنية

437 على الادريسي،في مقاومة ثقافة النسيان محمد بن عبد الكريم الخطابي نموذجا،ضمن ندوة "المقاومة المغربية عبر التاريخ ،منشورات المعهد الملكي للثقافة الامازيغية،الرباط ،2005،ص 203.

438 تاريخ المغرب تحيين وتركيب ،مرجع سابق،ص 587.

439 ولد بتطوان في أبريل من عام 1988، وبها تعلم القرآن الكريم في الكتاب،ومبادئ العلوم اللغوية والشرعية في الزوايا والجامع الكبير،وقاد نضال الحركة الوطنية في بداياتها ، وأنشأ المدرسة الأهلية ،كما أرسل مجموعة من البعثات العلمية إلى المنطقة المشرقية ،لقب بأب الحركة الوطنية ،ووافته المنية في مدينة رندة الاسبانية في عام 1935م .للمزيد من التفاصيل انظر معلمة المغرب الجزء الخامس الصفحة 1493مادة عبد السلام بنونة تحرير محمد ابن عزوز حكيم .

بالمنطقة الخليفية على صلة وثيقة بالمنطقة المشرقية وذلك من خلال الاطلاع على الصحف المشرقية التي كان يجلبها البريد الانجليزي إلى غاية 1936، أو من خلال تلك الصلات المتينة التي كانت تجمع الوطنيين بزعيم العروبة والإسلام وأمير البيان شكيب أرسلان قائد القومية العربية ، والموجه والمحرك لخطوات ونضال الوطنيين بالمنطقة الشمالية ،وهو ما يتضح بصفة جلية في تلك المرسلات بين عبد السلام بنونة وشكيب أرسلان والتي نصت في مجملها على تعبئة الوطنيين لمواجهة الاستعمار ،أو من خلال زيارة ارسلان إلى حاضرة تطوان في عام 1930م إبان صدور الظهير البربري .وقد خص مؤرخ المنطقة الشمالية الرحل محمد ابن عزوز حكيم كتاب خاص لهذه الزيارة تحت عنوان "وثائق سرية حول زيارة الأمير شكيب أرسلان للمغرب أسبابها ، أهدافها ، نتائجها، مطابع الشويخ _ تطوان1980م عدد الصفحات 120 صفحة".

وقد كانت اسبانيا تعيش على إيقاع أوضاع داخلية جد متردية كان من أهم سماتها سقوط نظام ألفنصو الثالث عشر في أبريل من عام 1931، وقيام الجمهورية الثانية الاسبانية بقيادة ألكالا زامورا ALCALA ZAMOURA وما رافق هذا التحول السياسي الاسباني في تحسين أوضاع شمال المغرب ، حيت من المعروف على الأنظمة الاشتراكية دعم ومساندة كل الشعوب التواقة للحرية .كما إن الاتجاه العام في المنطقة الخليفية كان يميل إلى التيارات الاشتراكية الاسبانية وهذا ما يتضح بصفة جلية في مساندة أهل تطوان للمسيرة التي قام بها الاشتراكيون الاسبان بالمدينة غداة إعلان قيام النظام الجمهوري يوم 14أبريل من سنة 1931.وقد كانت أوضاع المنطقة الخليفية شديدة الارتباط بما يقع في الدواليب الداخلية الاسبانية .حيت كانت تشكل المنطقة وقودا وقاعدة انطلاق لكل الخطط والتيارات الطامحة للحكم في مدريد .وهذا ما يتضح في الحرب الأهلية التي اشتعلت في اسبانيا في عام 1936م .لتعلن نهاية النظام الجمهوري .

وقد شكلت الحرب الأهلية الاسبانية 1936م بقيادة الجنرال فرنسيسكوا فرنكوا Francisco Franco فرصة مواتية للرواد الحركة الوطنية في المنطقة الخليفية من أجل استغلال الأوضاع وإخراج الأحزاب السياسية م وتقديم مجموعة من العرائض الإصلاحية مشتغلين تهدئة الأوضاع من طرف السلطات الاسبانية من أجل جلب المغاربة إلى صف فرانكو لمواجهة الجمهوريين ، حيت تشير الكتابات الى تجنيد الآلاف من المغاربة في صفوف الانقلابين، كما تشير لذلك الباحثة الاسبانية ماريا روسا ذي ماذرياغا María Rosa de Madariaga في كتابها المعنون"مغاربة في خدمة

فرانكوا" والدكتور مصطفى المرون في أطروحته المعنونة "الجيش المغربي في الحرب الأهلية الاسبانية 1936-1939".

وقد وجها نقذ لاذع للرواد الحركة الوطنية في المنطقة الشمالية التي عملت هي ألآخري على تجنيد المغاربة في صفوف جيش فرانكو.حيت اعتبرت تلك الانتقادات دماء المغاربة التي أهدرت بغزارة في اسبانيا ومعاناتهم الطويلة هناك هي الثمن الذي تم دفعه مقابل ما تمتعت به الحركة الوطنية من حريات وامتيازات خلال الفترة التي استغرقتها الحرب (1936-1939) 440 .ومهما يكن في الآمر فأن المغاربة لعبوا أدوار طلائعية في الحرب الأهلية الاسبانية ،وكانوا في مقدمة الفيالق العسكرية،خاصة بعد الوعود المعسولة التي قدمها الجنرال فرانكوا FARNCO ، ومقيمه في تطوان خوان لويس بيكبدر Juan Luis Beigbeder.

وقد كان المغاربة دائما هما رماد الحرب ،وهذا ما يتضح بصفة جلية في مشاركتهم في الحروب العالمية إلى جانب الدولة الفرنسية،وفي الحرب الأهلية الاسبانية ، وغيرها من التراعات الدولية في الفترة التي كان المغرب فيها يرزح تحت نير الاستعماريين الاسباني والفرنسي.

1-التجربة الحزبية في المنطقة الخليفية ودورها في النضال السياسي في المنطقة الخليفية:

إن الحديث عن التجربة الحزبية في المنطقة الخليفية يقودنا للحديث أساسا عن حزبين طبعا المنطقة .حزب الإصلاح الوطني بقيادة الشخصية الميكيافلية عبد الخالق الطور يس، وكانت قيادة الحزب مؤلفة من أعضاء"كتلة العمل الوطني"وكانت مبادئه تقوم على الأحكام الإسلامية واللغة العربية،ومبدأ الحزب الوحيد،واستشارات القاعدة في اتحاد كل القرارات.وقد اندمج حزب الإصلاح الوطني في حزب الاستقلال في فجر عهد الاستقلال441. وحزب الوحدة المغربي تحت رئاسة محمد المكي الناصري الذي قدما من المنطقة السلطانية هربا من السلطات الفرنسية. بعد أحداث بوفكران المعروفة. وأسس بإيعاز من اسبانيا من أجل إحداث نوع من التوازن الجماهيري بين الحزبين ،وان لا يستولي حزب الطوريس على القاعدة الشعبية .وان كانت الصراعات والحزازات هي التي طبعت العلاقة بين الحزبين حيت إن حزب الإصلاح الوطني لم يستسغ فكرة

---

440 بوهادي بوبكر،الحركة الوطنية بشمال المغرب والحرب الأهلية الاسبانية :ملاحظات عامة،ندوة "تطوان في عهد الحماية"،منشورات المجلس البلدي لمدينة تطوان،تطوان،1992م،ص 46.

441 عبد الحق المريني،محطات في تاريخ المغرب المعاصر 1894-1956،منشورات الزمن،مطبع النجاح الجديدة ،الدار البيضاء،2011، ص 117.

حزب موازي ومنافس له في المنطقة.و في نهاية الثلاثينيات اندلعت مواجهات واشتباكات دامية بين الطرفين من أجل الانفراد بالقاعدة الجماهيرية في المنطقة الشمالية .

وفي فترة الأربعينيات ستسير إدارة الحماية الاسبانية في سياسة تكوين وإخراج وإنشاء أحزاب جنينية تمجد السياسة والأجندة الاسبانية.وتقف في صفها.وتنفذ خططها .

ونتيجة جملة من المعطيات الدولية،والعوامل الإقليمية،والأحداث الداخلية ،بدأت تظهر معالم معادلة جديدة لذا الوطنيين في شمال كما في الجنوب .هي معادلة "الاستقلال" بدل المطالبة بالإصلاحات كمعادلة تقليدية سار على نهجها الوطنيين منذ مطلع الثلاثينيات .ومن جمله هذه العوامل نذكر ظروف الحرب العالمية الثانية 1939-1945 حيت يمكن القول إن الحرب العالمية الثانية كان لها تأثير كبير على خلق هذه المعادلة الجديدة نظرا لتحولات التي صحبتها على الصعيد الدولي وتركت انعكاساتها على العمل الوطني في المغرب بصفة عامة وعلى برنامج الأحزاب السياسية في الشمال[442] بصفة خاصة.ناهيك عن صدور الميثاق الأطلسي Atlantic Charter [443].وغيرها من الأحداث التي طغت على المحيط الدولي والإقليمي التي كان يعيش على إيقاع حركية وديناميكية كبيرة بداية الأربعينات، اغتنمتها الحركات التحررية في مختلف أرجاء المعمور .ناهيك عن مساندة القصر بقيادة محمد الخامس لمطالب الاستقلال والوطنين .بعد التغيير الجدري الذي وقع في شخصية السلطان محمد الخامس من شخصية متروية قليلة التجربة،اختارتها الإقامة الفرنسية من أجل تنفيذ خططها المستقبلية بإيعاز من رائد مكتب الاستعلامات الفرنسية Michaux-Bellaire, Édouard (1857-1930)[444] يقول [445]روبير مونطاني Robert Montagne على شخصيته" ان السلطان الذي اعتلى العرش بعد أبيه مولاي يوسف كان على درجة كبيرة من الخجل وانعدام التجربة بحيث لم يكن بوسعه اتخاذ أي قرار في أي موضوع[446].لكن بعد ذلك أضحى السلطان يعمل مع

---

[442] عبد الحفيظ حمان، الآحزاب الوطنية بالشمال :من المطالبة بالإصلاح الى المطالبة بالاستقلال (1936-1953،ندوة تطوان في عهد الحماية،منشورات المجلس البلدي لمينة تطوان،تطوان ، 1992.ص 174.

[443] ميثاق أصدرته كل من الولايات المتحدة الآميركية وبريطانيا في 14غشت من عام 1941، ونص أساسا على حق الشعوب في تقرير مصيرها،وأن الدولتين لا تطمعان في التوسع الاقليمي...

[444] أحد رواد الفكر الاستعماري بالمغرب،كان ملما بمختلف خبايا الشعب المغربي ،من مدنه ولغاته وأهم مكوناته،وقد تحمل مسؤولية ادارة البعثة العلمية الفرنسية بالمغرب حيث كانت جهوده الشخصية ذات قيمة جوهرية في المشروع الكولونيالي خصوصا على مستوى إعداد المونوغرافيات. وقد عرفت البعثة تحت إدارته غزارة في الإنتاج، ويتعلق الأمر هنا بإعداد جملة من المصنفات والمحفوظات من قبيل LA MISSION SCINTIFIQUE :

[445] Robert Montagne 1893-1953 est un orientaliste, ethnologue et anthropologue français, LES Livres de Robert Montagne Très importants dans l histoire de maroc - Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc- Villages et kasbas berbères, Tableau de la vie sociale des Berbères sédentaires dans le sud du Maroc .. etc

[446] Robert Montagne.Révolution au Maroc.ed France Empire.1953.pp 187 .

رجال الحركة الوطنية خفية من أجل رسم الخطط لتحرير البلاد من قبضة الاستعمار،وتزويدهم بنصائحه الغالية وأرائه السديدة. من أجل السير بالبلاد الى الاستقلال .

في بداية الأربعينيات عملا كل من عبد الخالق الطوريس والمكي الناصري على رأب الصراع الدائر بينهما،وإنهاء خلافاتهما وأعلنا عن جبهة تضم حزبيهما،أي حزب الإصلاح الوطني وحزب الوحدة المغربية، وقد سميت بالجبهة القومية المغربية،وذلك يوم 18دجنبر 1942،وبعد شهرين من هذا الإعلان أي في 14فبراير 1943، استغلت الجبهة القومية بعد الظروف وتقدمت الجبهة المذكورة للسلطات الاسبانية وبعض المفاوضيات الدولية بوثيقة تطالب فيها باستقلال المغرب ووحدت ترابه وأقاليمه وبإلغاء معاهدة الحماية.وذلك إبان مؤتمر أنفا[447].

ولعل لسائل أن يتساءل ولقائل أن يقول لماذا لم تعطى لهذه الوثيقة قيمتها التاريخية، على عكس وثيقة المطالبة بالاستقلال بالمنطقة السلطانية، التي يحتفل بذكرها سنويا، وتعتبر يوم عطلة رسمية، ومن الأعياد الوطنية، وتدرس في المناهج التعليمية.

إن السبب وراء ذلك يرجع بالأساس إلى انه دائما كان يعتبر الاستعمار الاسباني مجرد فرع لاستعمار الفرنسي،لذلك ينبغي محاربة ومجابهة الأصل لكي يسقط الفرع ،زد على ذلك أن الوثيقة قدمت بموازاة مؤتمر أنفا التاريخي بمدينة الدار البيضاء،ناهيك عن الخطأ الجسيم الذي وقعت قيادات الجبهة القومية المغربية المكونة من حزبي الطوريس والناصري،وهو اعتبار التراب الوطني بجميع أطرافه وجدوده وشواطئه ومياهه وأجوائه أرض حياد تام مطلق عند قيام أي نزاع دولي مسلح وبالنسبة لكافة المتحاربين حاضرا ومستقبلا[448] مع العلم أن المغرب وعلى لسان سلطان يقوم بدعم دول الحلفاء بقواعده وأرضه ضد المحور بقيادة النازية الألمانية وهذا ما تشير إليه بوضوح وثيقة الاستقلال بالمنطقة السلطانية في11 يناير من سنة 1944م.لذلك تكتسي أهمية قصوى عكس وثيقة المنطقة الخليفية التي ظلت مهمشة وشبه مغيبة.

---

[447] انعقد يوم 14 يناير 1943 بمدينة الدار البيضاء حضره الرئيس الاميركي فرانكلين روزفلت، والوزير الأول البريطاني ونستون تشرشل، والملك الراحل محمد الخامس رفقة ولي عهده الأمير مولاي الحسن، والجنرال ايزنهاور قائد قوات الحلفاء.وفي هذا اللقاء أعطى الرئيس الاميركي روزفلت التزاماً أميركيا بالعمل على مساندة استقلال المغرب بعد الحرب وتعويض الدعم المغربي بمساعدات اقتصادية وتكنولوجية هامة واستعادة وحدة المملكة الشريفة . وكان هذا اللقاء أول لقاء - منذ فرض الحماية - لملك مغربي مع رئيس دولة دون وساطة المقيم العام، وقد ساهم كل ذلك في تقوية الأمل عند المغاربة ودفعهم للمطالبة بالاستقلال.

2-الحركة الوطنية في الشمال على درب الاستقلال

عرفت الحركة الوطنية في المنطقة الشمالية بعد أفول الحرب العالمية الثانية حركية ودينامية سياسية كبيرة . ووقعت أحداث جسام ،ونضالات بالموزاة مع الوطنيين في المنطقة السلطانية من أجل الاستقلال والحرية . ومن الأحداث الكبرى التي طبعت مسار الكفاح في سبيل الاستقلال ، زيارة المغفور له السلطان محمد الخامس إلى منطقة طنجة الدولية في تحد للسلطات الاسبانية والفرنسية ،وتكريس للسيادة الوطنية ،وتأكيدا على وحدة المغربية الترابية ،وانه لا يعترف بالحدود الوهمية التي رسمها الاستعمار . يقول شارل أندري جوليان في كتابه "المغرب في مواجهات الأمبرياليات" قد حاول ما أمكن تبرير هذه الزيارة قائلا: "أراد سيدي محمد أن يؤكد وحدة مملكته بالذهاب إلى طنجة التي لم يسبق أن زارها أي سلطان منذ نصف قرن".كان خطاب محمد الخامس الرنان ،وطموحه من أجل الاستقلال فاتحة لبداية الكفاح لنيل المراد وإخراج الاستعمار.

في هذه الآونة نهجت إدارة الحماية الاسبانية سياسة عنيفة اتجه المناضلين في منطقة الشمال, حيت عمد المندوب السامي خوسي باريلا josé Varela إلى منع الصحافة الوطنية وإغلاق مقرات الأحزاب،ورفض دخول كل من الطريس وبنونة وابن عبود إلى تطوان بعد عودتهم من مهامهم بالخارج في فبراير 1948،مما اضطرهم إلى الاستقرار بمدينة طنجة.449

لتأتي محطة 20غشت 1953 والمؤامرة الفرنسية بنفي السلطان الشرعي محمد الخامس إلى كورسيكا ومدغشقر ، أو الاعتداء على العرش على حد تعبير محمد ابن عزوز حكيم .فما هو موقف شمال المغرب من هذا الاعتداء على المؤسسة السلطانية. وما هي أبرز ردود الفعل من الوطنين في المنطقة الخليفية.

على عكس التوقعات سارت إدارة الحماية الاسبانية إلى جانب الوطنيين ،وساندتهم في احتجاجاتهم،وقدمت لهم يد العون والمساعدة لمجموعة من الأسباب منها :

-اعتبرت اسبانيا من جرى في المنطقة الخليفية اهانة لها وازدراء بها كشريك في احتلال المغرب.لذلك شجعت الوطنيين على الوقوف في وجه السلطات الفرنسية.450

---

[449] تاريخ المغرب تحيين وتركيب،مرجع سابق ،ص

[450] نفسه،ص 603

-وجدت اسبانيا الفرصة سانحة من أجل انسلاخها من التبعية الفرنسية ،فلطالما اعتبار الاستعمار الفرنسي هو الأصلي.والاسباني هامشي.حيت وجدت اسبانيا في هذه الخطوة فرصة ذهبية لإبراز استقلاليتها عن المنطقة الفرنسية.

وهكذا سارت اسبانيا في دعم الوطنيين وتنظيم لقاءات جماهيريا ،تندد بالخطوة الفرنسية ،وتجلب إلى صفها تعاطف المغاربة في المنطقة الخليفية.حيت نظم المقيم بالينيو يوم 21يناير 1954تجمعا جماهيريا حاشدا بحضور الخليفة السلطاني،تعبيرا من سكان المنطقة عن امتنانهم لموقف اسبانيا وزعيمها فرانكو من عزل السلطان.كما أصدر حزب الإصلاح الوطني يوم 5يونيو 1954 بيانا أشاد فيه بمساندة الحكومة الاسبانية لسكان المنطقة في تشبثهم ببيعة سلطانهم الشرعي.ومما ترتب عن هذا التجاوب بين السلطات الاسبانية والوطنيين قبول الطوريس المشاركة في الحكومة الخليفية كوزير للشؤون الاجتماعية في يناير 1955.

لكن كما يقال ان دوما الحال من المحال . فسرعان ما تحولت سياسة اسبانية إلى سابق عهدها من قمع وترهيب ومنع اتجاه الوطنيين.خاصة بعد تلك الإرهاصات الأولى لاستقلال المنطقة السلطانية بعد دخول المغرب في المفاوضات المعروفة ب ايكس ليبان 451 Aix-les-bains ما بين 22 و 27غشت 1955م .تمهيدا للخروج من المأزق الذي وقعت فيه فرنسا بعد خلع جلالة محمد الخامس ونفيه إلى كورسيكا ومدغشقر.وبعد الانفضاض من المؤتمر تم الاتفاق على إزاحة بن عرفة عن العرش وتنصيب مجلس بدله،ودخول في محادثات مع محمد الخامس في منفاه.قبل أن تعود المشروعية إلى نصابها بعودة محمد الخامس يوم 16نوفمبر 1955إلى عرشه حاملا معه الاستقلال الذي كافح هو وشعبه في سبيله452.

أمام هذه الأحداث والوقائع أخذن مدريد تهدد بفصل المنطقة الخليفية حيت مارست ضغوطا على الخليفة ليعلن نفسه سلطانا بها.وقد أثارت هذه المناورات الاسبانية غضب الوطنيين ،وأدت بالطريس إلى تقديم استقالته من الحكومة الخليفية.جاعلا بذلك حدا لتجربة التعاون مع السلطات الاسبانية.أمام هذه الأوضاع ومع تزايد وتيرة الاحتجاجات في المنطقة السلطانية خاصة بعد شهر مارس الدموي بمدينة تطوان ، لم تجد إدارة الحماية الاسبانية بدا سوى الاعتراف باستقلال المغرب

---

[451] منتجع سياحي فرنسي دارت فيها جلسات بين الوطنيين المغاربة وممثلين عن السلطة والحكومة الفرنسية من أجل التمهيد لآستقلال المغرب.

[452] مؤلف جماعي،معلمة المغرب،منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر،الجزء 11 ،2000 ،ص 3568.

في أبريل من عام 1956م.[453] في يوم 7 أبريل وفي طريق رجوع محمد الخامس إلى المغرب استقبله أهل تطوان استقبالا يصعب وصفه ،وفي 29 أكتوبر سنة 1956م انتهي النظام الدولي بطنجة. لكن العديد من الجيوب والثغور المغربية المحتلة ظلت تحت السيطرة الاسبانية مثلا سبتة ومليلية والصحراء المغربية.[454] حيت ستنطلق عملية استكمال الوحدة الترابية انطلاقا من استرجاع طرفاية عام 1958 إلي المسيرة الخضراء عام 1975وواد الذهب عام 1979.

453 عبد الحق المريني ،تاريخ المغرب تحيين وتركيب،مرجع سابق ، ص 604.
454 معلمة المغرب ، مرجع سابق ، ،الجزء 11، مادة الحماية الاسبانية،صفحة 3568